



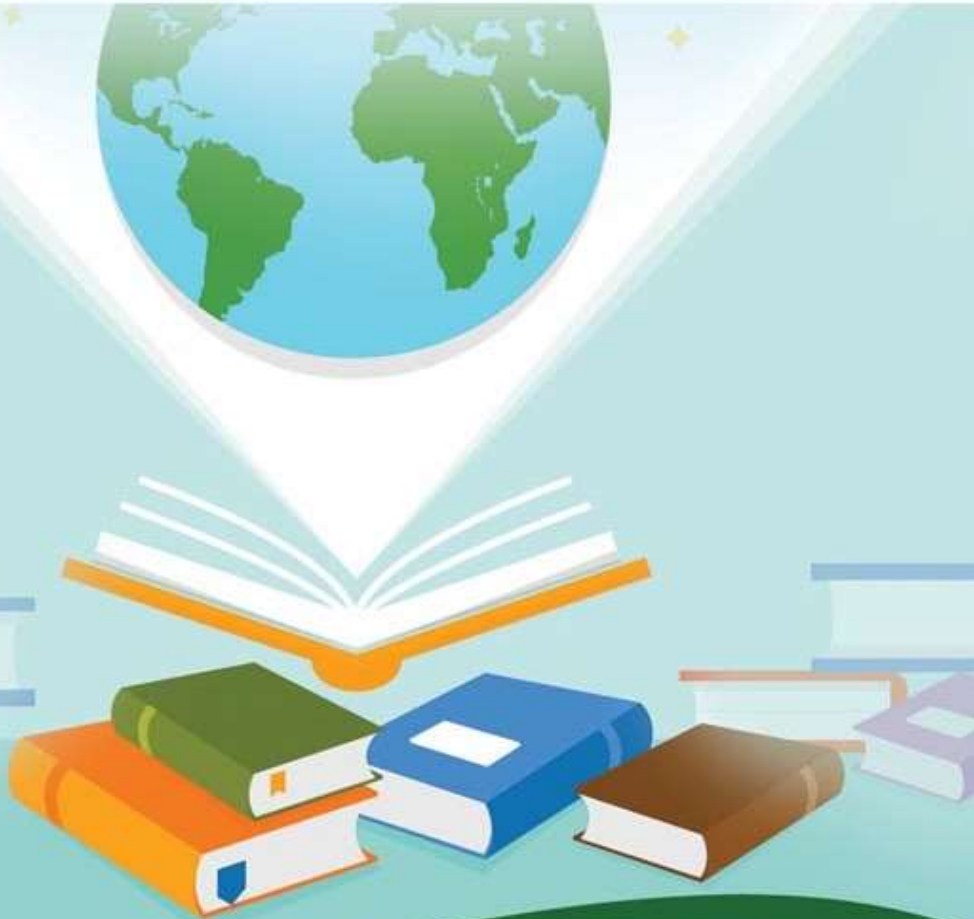
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة طيبة

مجلة جامعة طيبة

A&H الآداب والعلوم الإنسانية

العدد السادس والثلاثون لسنة ١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣ م (الجزء الأول)

TAIBAHU JOURNAL OF ART AND HUMANITIES



ISSN: 1658-666-2

معامل التأثير لسنة ٢٠٢٢ | ١,٨٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ






مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة تصدر عن

كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة



العدد السادس والثلاثون لسنة ١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣ م (الجزء الأول)

الرقم المعياري الدولي

ISSN 1658-666-2

جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية
المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

ص.ب (٣٤٤)

البريد الإلكتروني

artsjournal@taibahu.edu.sa

للدخول للموقع الإلكتروني للمجلة والاطلاع على

بمحتكم والبحوث المنشورة، يرجى مسح كود QR

التالي عن طريق أي قارئ لأكواد QR



هيئة التحرير

أ. د. محمد بن سالم الحارثي

رئيس التحرير

أ. د. عبد الحي بن دخيل الله المحمدي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بجامعة طيبة

أ. د. علي بن عبد الله القرني

أستاذ علم اللغة

أ. د. محمد بن أحمد برهجي

أستاذ القراءات بجامعة طيبة

أ. د. مناور بن خلف المطيري

أستاذ الخرائط ونظم المعلومات الجغرافية بجامعة طيبة

أ. د. هنادي بنت رشيد الصاعدي

أستاذ الفقه وأصوله المشارك بجامعة طيبة

أ. د. تغريد بنت حمدي ضويعن الجهني

أستاذ التخطيط والتنمية الاقليمية المشارك بجامعة طيبة

أ. د. مريم بنت محمد الأمين الشنقيطي

أستاذ الأدب القديم المشارك بجامعة طيبة

أ. د. مرام بنت محمد سمان

أستاذ الأدب الإنجليزي المشارك بجامعة طيبة

أ. د. خلود بنت محمد الأحمدي

أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة طيبة

أ. د. فهد بن محمد الساعدي

أستاذ العقيدة والفرق بجامعة طيبة

أ. د. فهد بن مبارك الوهي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة طيبة

أ. د. ندا بنت حمزة عبده

أستاذ العقيدة والمذاهب الفكرية بجامعة طيبة

أ. د. فائزة دسوقي أحمد

أستاذ أخلاقيات المعلومات بجامعة طيبة

أ. د. بدرية بنت عبد الله علي الفريدي

أستاذ النشر الأدبي الحديث المشارك بجامعة طيبة

أ. د. أنور بن يعقوب زمان

أستاذ الأدب العربي المشارك بجامعة طيبة

أ. د. مبارك بن علي شرهاد

أستاذ تقنية المعلومات المساعد بجامعة طيبة

التعريف بمجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية

مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية هي مجلة علمية محكمة، تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بجامعة طيبة، تنشر البحوث والدراسات الأصيلة، باللغتين العربية والإنجليزية.

الرؤية

الريادة في نشر البحوث العلمية الأصيلة في الآداب والعلوم الإنسانية

الرسالة

نشر الأبحاث العلمية المحكمة في مجالات الآداب والعلوم الإنسانية وفق المعايير المعمول بها عالمياً للتحكيم ونشر الأبحاث

الأهداف

- نشر الأبحاث الأصيلة في مجالات الآداب والعلوم الإنسانية التي تسهم في خدمة الإنسان وتقديم المجتمعات.
- تلبية حاجة الباحثين محلياً، وإقليمياً، وعالمياً لنشر الأبحاث الأصيلة في مجالات الآداب والعلوم الإنسانية.
- الإسهام في إيجاد مرجعية علمية محكمة في مجالات الآداب والعلوم الإنسانية.
- العمل على النهوض بعدد الاستشهادات المرجعية بأبحاث المجلة.
- الحصول على معامل تأثير إقليمي ودولي متميز في تخصص الآداب والعلوم الإنسانية.
- إدراج المجلة ضمن شبكة كلابريفيت للعلوم (ISI سابقاً) وكشاف الاستشهادات المرجعية الدولي للمجلات العلمية المصنفة عالمياً.

قواعد النشر بالمجلة

- البحوث المقدمة للنشر يجب ألا يكون قد سبق نشرها، حتى وإن كان من الباحث نفسه، أو مقدمة للنشر في جهة أخرى، وإذا قبلت للنشر فلا يسمح بنشرها، سواءً باللغة العربية أو بأية لغة أخرى.
- في حال ثبت أن بحثاً تم نشره بالمجلة قد نشر سابقاً في مجلة أخرى - ولو كان ذلك من طرف الباحث نفسه -، فإن للمجلة الحق في اتخاذ الإجراءات القانونية المناسبة ذات العلاقة.
- تمتنع المجلة عن تحكيم البحث الثاني لأي باحث إلا بعد صدور أربعة أعداد من تاريخ نشر بحثه الأول بالمجلة.
- يقدم الباحث طلباً بنشر بحثه متضمناً العناوين التي تمكن من الاتصال به ومراسلته عليها، وتعهده بالملكية الفكرية، ومشفوعاً بسيرته العلمية، والتزاماً بعدم نشر بحثه في أي جهة نشر أخرى وهذه المرفقات يتم تحميلها من الموقع الإلكتروني للمجلة على الرابط التالي) أمسح الكود QR أسفله عن طريق أي قارئ للأكواد للدخول لموقع المجلة)
- يُعدُّ إرسال البحث عبر موقع المجلة الإلكتروني قبولاً من الباحث بقواعد النشر في المجلة.
- لا ترد المجلة على استفسارات الباحثين عن حالة أبحاثهم، إلا بعد انقضاء فترة ستين يوماً (شهرين) من تاريخ وصول البحث للمجلة.
- تعتذر المجلة عن استقبال الأبحاث خلال الإجازات الدراسية في منتصف العام، ونهاية السنة الدراسية، وفق تقويم الدراسة في جامعة طيبة، المعتمد في موقع الجامعة الإلكتروني.
- تخضع الأبحاث المقدمة للمجلة للتحكيم من قِبَل محكمين متخصصين ومعتمدين لدى المجلة، وهئية تحرير المجلة حق تقرير أهلية البحث للتحكيم من عدمه ابتداءً.
- تقدم المواد العلمية والبحوث عن طريق نسخة إلكترونية عبر البريد الإلكتروني للمجلة
- تكتب الآيات القرآنية للبحوث العلمية في العلوم الشرعية وفق مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي.
- يشترط ألا يتجاوز عدد كلمات البحث (١٢٠٠٠) كلمة، متضمنةً الملخصين العربي والإنجليزي والكلمات المفتاحية.
- يكون لكل بحث ملخصان: أحدهما باللغة العربية، والآخر باللغة الإنجليزية، على ألا يتجاوز عدد كلمات أي منهما (٣٠٠) كلمة.
- يتم إدراج ما بين (٤-٦) كلمات مفتاحية كحد أقصى وتكتب باللغتين العربية والإنجليزية.
- يكون توثيق النصوص والاقتباسات باستخدام إحدى الطرق العلمية الموحدة في كامل البحث.
- القواعد الخاصة بإعداد قائمة المراجع: -
- تتضمن قائمة المراجع الأعمال التي استشهد فيها في متن البحث وترتب ترتيباً هجائياً.
- رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.
- ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر صاحبه، ولا يعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.

محتويات العدد

الصفحة	عنوان البحث
٧٠ - ١٠	منهج الإمام الحافظ ابن كثير في فضائل القرآن الكريم خالد بن محمد بن صالح الشهرياني
١٥٤ - ٧١	جهود العلامة أبي البقاء العكبري الحنبلي الفقهية (ت: ٦١٦هـ). مع دراسة مسائل من اختياراته الفقهية التي خالف فيها المشهور من المذهب، وبيان من وافقه من علماء الحنابلة د. عبدالله بن عايض آل عبد الهادي
١٩٢ - ١٥٥	العلاقة بين تصوّر ابن درستويه لنشأة اللغة وآرائه اللغوية مقبل بن علي الدعدي
٣١٢ - ١٩٣	الأحكام الفقهية لحوادث المرور والآثار المترتبة عليها دراسة تأصيلية تطبيقية غادة بنت محمد بن علي العقلا
٣٦٣ - ٣١٣	إفهام السامع بمعنى قول خليل في النكاح بالمنافع أو (النكت اللوامع بمعنى قول خليل في النكاح بالمنافع) تأليف: أحمد بابا بن أحمد بن أحمد التنبكي (ت ١٠٣٦هـ). تحقيقاً، ودراسة . عبد الرحيم بن مطر بن حميد الصاعدي

الإرهاب الفكري - مفهومه وأسبابه وسلوكياته وصوره وسبل الوقاية منه

٤٢٢ - ٣٦٤

محمد بن سرّار اليامي

أثر حُرُوفِ العَطْفِ فِي اتِّسَاقِ النَّصِّ وَرَبْطِهِ

٤٦١ - ٤٢٣

(دراسة تطبيقية على الحديث النبوي في كتاب الطّب من صحيح الإمام البخاري)

إبراهيم عبدالله أحمد الزين

وهم المصطلح بين النقد والتوظيف: المنبوذ في السرد أمودجًا

٤٩٠ - ٤٦٢

نهي محمد عبد العزيز الشايقي

Hypocoristic Nicknames in British English Slang: A Morpho-phonological Perspective

٥٢٠ - ٤٩١

مشاعل محمد علي الساعدي

الطقوس الدينية للراهبات دراسة عقدية تحليلية

٥٦٣ - ٥٢١

سامية بنت ياسين البدري

آداب الضيافة في السنة النبوية

٦١٦ - ٥٦٤

علي مصلح محمد الزبيدي

فاعلية استراتيجية الاستماع المكثف عن طريق مصادر الانترنت لتعلمي اللغة

٦٤٨ - ٦١٧

الإنجليزية

تهاني مناحي الشهراني

العلاقة بين تصوّر ابن درستويه لنشأة اللغة وآرائه اللغوية

د. مقبل بن علي الدعدي

كلية اللغة العربية وآدابها

جامعة أم القرى

madady@uqu.edu.sa

المستخلص

يُعنى هذا البحث بدراسة علاقة نظرية نشأة اللغة بقضايا اللغة، وعن إمكانية تفسير الآراء اللغوية التي يتبناها العالم وفق تصوّره لنشأة اللغة، وأنّ هذا التصور من المؤثرات والمنطلقات التي ينطلق منها فكره اللغوي، وقد اتخذ البحث ابن درستويه أنموذجاً لهذه الدراسة، فابن درستويه من العلماء الذين لهم مكانتهم في الدرس اللغوي، ومن العلماء الذين عُرفوا بأراء تُعد مخالفة للأشهر والأكثر، ومن هنا كان هذا الأنموذج صالحاً لاختبار فرضيات البحث، وكان على البحث أولاً جمع القضايا اللغوية، ثم محاولة الكشف عن رأي ابن درستويه في نشأة اللغة، والقول الذي يتبناه، والآراء التي يؤيدها، ثم إعادة قراءة تلك الآراء وفق سياق النظرية، وقد خرج البحث بجملة من النتائج منها:

- يُعد ابن درستويه من القائلين بتوقيفية اللغة.
- أثبت البحث بأنه قد يكون لتصوّر نشأة اللغة أثر في الآراء اللغوية، وأن تكون من المنطلقات المؤثرة في الفكر اللغوي، ومن مسوغات تبني بعض الآراء اللغوية، وهذا ما ثبت في الأنموذج المدروس، وعليه يمكن إعادة النظر في تعميم القول بأنّ هذه القضية لا ثمرة من بحثها، أو أنّها تُعد من الترف المعرفي الذي لا يُبنى عليه شيء، فقد تستثمر في تفسير الآراء اللغوية،

وتحليل المواقف العلمية.

- خطأ من يربط بين الاعتزال ومنشأ القول بأن اللغة اصطلاحية النشأة، وكذلك خطأ الربط بين القول بالتوقيفية والاتجاه الكوفي في الدرس اللغوي، كما بين البحث غلط من يعقد صلة بين القول بالتوقيفية، وتعطيل القياس.

- القول بتأثير تصوّر نشأة اللغة على الآراء اللغوية لا يمكن تعميمه إلا بعد دراسات مماثلة لهذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: نشأة اللغة- الآراء اللغوية- ابن درستويه.

The relationship between Ibn Drustawayh's conception of the origin of language and his linguistic views

Muqbil bin Ali Al-Dadi
Umm Al Qura University

madady@uqu.edu.sa

Abstract

This research is concerned with studying the relationship of the theory of language origination with language issues, and about the possibility of interpreting the linguistic opinions adopted by the scientist according to his perception of the origin of language, and that this perception is one of the influences and premises from which linguistic thought stems, and the researcher Ibn Drastawayh took a model for this study, Ibn Drustawayh is one of the scholars who have a place in the linguistic lesson, and among the scholars who were known for opinions that are contrary to the most famous and most popular, and from here this model was valid to test the research hypotheses.

- The research first had to collect the linguistic issues, then try to reveal the opinion of Ibn Drustawiya on the origin of the language, the saying he adopts, and the opinions he supports, and then re-reading those opinions according to the context of the theory, and the research came out with a number of results,

including:

- Ibn Drustawayh is one of those who say that the Tawqifiyyah language.

- The research proved that the perception of the emergence of language may have an impact on linguistic opinions, and that it is one of the influential starting points in linguistic thought, and one of the justifications for adopting some linguistic opinions, and this is what was proven in the studied model, and accordingly it can be reconsidered in generalizing the saying that this issue is not a squeezing effort of research, or that it is considered a luxury of knowledge on which nothing is built.

- There is a mistake by those who link between retirement and the origin of the saying that the language is reformist in origin, as well as the mistake in linking the statement with Tawqifiyyah and the Kufic tendency in the linguistic lesson, as the research showed the error of those who complicate a link between the statement of Tawqifiyyah and the disruption of analogy.

- Saying the influence of language perception on linguistic opinions can only be generalized after studies similar to this study.

Keywords: the origin of language - linguistic opinions - Ibn Derstawayh.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد بن عبد الله وعلى آله ومن ولاه،
ومن اتبع إلى يوم الدين خطاه. أما بعد

فمن القضايا التي أدار العلماء - قديماً وحديثاً- رحي فكرهم حولها قضية نشأة اللغة،
فقد تعددت الأقوال فيها، واختلفت الآراء حولها، وحُشدت الأدلة لتأييد قولٍ وتفنيد آخر،
وأدلى كلٌّ بدلوه في هذه القضية، وهي من القضايا التي تقبل الاختلاف، وتتسع لتنوع الأنظار.

و إنّ هذا البحث يُعنى بدراسة أثر هذه القضية في تبني الآراء اللغوية من خلال نموذج
الدراسة: علاقة آراء ابن درستويه بتصوّره لنشأة اللغة، فمن المعلوم أنّ ابن درستويه من أبرز
العلماء اللغويين في التراث العربي، تواترت شهادة العلماء ممن عاصروه ومن اطلعوا على إنتاجه
على عدّه من العلماء المتمكنين في علوم العربية، والمشهورين بالتميّز فيها، قال عنه أبو البركات
الأنباري: "كان أحد النحاة المشهورين، والأدباء المذكورين".^(١)

وقد ترجم له ابن خلكان بقوله: "كان عالماً فاضلاً أخذ فن الأدب عن ابن قتيبة ... وعن
المبرد وغيرهما ببغداد، وأخذ عنه جماعة من الأفاضل كالدارقطني وغيره... وله تصانيف في غاية
الجودة والإتقان"^(٢)

هذا ومن يطّلع على تراث ابن درستويه في كتبه المطبوعة ، أو الآراء التي في مصادر النحو
واللغة ماثورة ، فسيجد ثمة آراء خالف فيها ابنُ درستويه جمهورَ اللغويين ، وأقوالاً تختلف عن
المشهور عن النحويين، وهذا ما جعل الباحث يختار ابن درستويه أنموذجاً، فعُدّ ابن درستويه
من العلماء المشهورين، والثناء على مصنّفاته، ثم مخالفة الجمهور في بعض القضايا المشهورة

^(١)نزهة الألباء في طبقات الأدباء تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء الأردن، الثالثة، ١٤٠٥

هـ، ص: ٢١٣.

^(٢)وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ج ٣، ص ٤٤

كإنكار المشترك اللفظي ، واختلاف الأبنية مع اتفاق المعنى، وإنكار الترادف، والتضاد، والقلب = كل ذلك يستثير الباحث لمحاولة الوصول إلى تفسيرٍ لهذه الآراء، وتعليل لتلك الأقوال، والبحث عن الأصل الجامع لها، والرؤية التي تصدر عنها.

ومن هنا انبثقت فرضيات البحث:

الفرضية الأولى: تفترض الدراسة إمكانية ربط آراء ابن درستويه العلمية برؤيته للغة، وتصوّره لنشأتها، وأنها الأساس الذي ينطلق منه ابن درستويه في تفسير اللغة، وفي تحليل ظواهرها، وتقريب طبيعتها، والأصل الذي بنى عليه منهجه في التعامل مع اللغة.

الفرضية الثانية: تقابل الفرضية الأولى، فلا علاقة بين قول ابن درستويه في نشأة اللغة، وآرائه اللغوية، فابن درستويه ينطلق في الظواهر اللغوية من الواقع اللغوي دون استحضار للأصل التاريخي للغة.

الفرضية الثالثة: تتوسط بين الفرضيتين السابقتين، فقد يكون تصوره لنشأة اللغة من مسوغات تبنيه بعض الآراء اللغوية، وأحد المنطلقات في منهجه في التعامل مع الظاهر اللغوية.

والفرق بين الفرضيتين: الأولى والثالثة: التصور هو المنطلق الأساس، والدليل المعتمد، في الفرضية الأولى، وفي الثالثة يكون التصور من الأدلة، وأداة من أدوات تفسير الظواهر اللغوية.

و بناء على الفرضيات السابقة تبرز أسئلة عدة، يحاول البحث الإجابة عنها، منها:

١. ألقضية نشأة اللغة أبعاد علمية في التحليل اللغوي أم هي من القضايا الترفيية التي لا يُبنى عليها شيء؟

٢. ما رأي ابن درستويه في قضية نشأة اللغة، وهل صرّح برأيه فيها؟

٣. هل لآراء ابن درستويه علاقة بتصوره لنشأة اللغة؟

٤. إذا استطعنا تفسير آراء ابن درستويه بناء على قوله في نشأة اللغة، فهل يلزم من

العلاقة بين تصوّر ابن درستويه لنشأة اللغة وآرائه اللغوية

ذلك موافقة العلماء له في الآراء اللغوية إن كانوا يذهبون في نشأة اللغة المذهب نفسه؟
 ٥. وفي المقابل هل العلماء المؤيدون له في بعض آرائه في اللغة يتبنون القول الذي يتبناه ابن درستويه؟

إنّ إجابة تلك الأسئلة هي أهداف البحث، ومحاولة تفسير تلك القضية هي غايته، وسيستيع الباحث للوصول إلى أهدافه منهجاً وصفيّاً تحليليّاً بعد وضع الفرضيات من أجل اختبارها لإثباتها أو دحضها إن تبين له ذلك.

وعليه فالبحث لا يُعنى بتتبع آراء ابن درستويه في اللغة، ولا يُعنى بتحرير الأقوال فيها، وحشد الخلافات في تلك القضايا، وإنما البحث محاولة لاختبار الفرضية التي تربط آراء ابن درستويه بتصوره لنشأة اللغة، ومثل هذه القضايا - كما هو معلوم - تقبل تعدد الأقوال، واختلاف التفسيرات؛ لأنها تقع في إطار الفرضيات والاحتمالات، ولم ترق للحقائق والبدهيات؛ مما يحفز الباحث إلى تكرار النظر، وطول التأمل، دون تعصب لقول، أو تمييز لمذهب، فالنتائج عنده سواء.

ولم أجد - فيما اطّلت - من حاول تفسير آراء ابن درستويه وفق هذه الرؤية، بل لم أطلع على دراسة - مع كثرة البحث والسؤال - حاولت الكشف عن رأي ابن درستويه في قضية نشأة اللغة فضلاً عن ربط آرائه بها.

والدراسات ذات العلاقة بالبحث تقسم إلى قسمين:

- دراسات تناولت قضية نشأة اللغة بالبحث، وهي كثيرة مستفيضة في مظاهرها، وغالبا ما تذكر أقوال علماء مشهورين بتبني مذاهب في القضية، ولم أجد من بينهم ابن درستويه، وسيذكر البحث تفسير ذلك.

- دراسات دارت في فكر ابن درستويه وآرائه اللغوية، ومن أشهرها فيما اطّلت:

● كتاب ابن درستويه لعبد الله الجبوري، وهو مطبوع في بغداد سنة ١٩٧٣م، وقد قسمه إلى أربعة أبواب:

الباب الأول: عن حياة ابن درستويه وآثاره.

الباب الثاني: جهوده في فقه اللغة والنحو.

الباب الثالث: عن الفصيح وشروحه.

الباب الرابع: مقارنة بين شروح الفصيح.

● رسالة للباحث صلاح بن عبد الله بوجليع بعنوان: آراء ابن درستويه النحويّة والتّصريفية: جمعاً ودراسة، وهي مقدمة لنيل درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد قسم البحث إلى قسمين رئيسين:

الأول: الآراء النحوية والتصريفية.

الثاني: الدراسة المنهجية، وفيه: موقفه من أدلة النحو، وموقفه من المذاهب النحوية، واتجاهه النحوي، واجتهاداته النحوية والتصريفية، وخصائص منهجه في النحو والتصريف.

ولم تتطرق الدراسات إلى قضية نشأة اللغة، ولا عن علاقتها بالآراء اللغوية، ولم يُكشف عن رأي ابن درستويه فيها، ولا حاولت تفسير آرائه وفقها، وإنما عُيّت الدراسات بإبراز جهود ابن درستويه، والحديث عن آثاره المطبوعة وغير المطبوعة، ولعل الاختلاف بينهما يكمن في الإجمال في الدراسة الأولى، والتفصيل في الدراسة الثانية، فقد كان فيها تتبع للمسائل النحوية والصرفية، وقد أفاد الباحث من الدراساتين في تصوّر فكر ابن درستويه، وربط آرائه ببعضها.

وبعد جمع المادة العلمية، وتصنيفها، وإعادة النظر في فرضيات البحث، وأسئلته قسمت البحث إلى مبحثين:

المبحث الأول: تصوّر نشأة اللغة عند ابن درستويه.

المبحث الثاني: آراء ابن درستويه اللغوية.

المبحث الأول

تصوّر نشأة اللغة عند ابن درستويه:

اختلف القدماء والمحدثون في قضية نشأة اللغة إلى أقوال عدة، ومن أهم هذه الأقوال:

- الأول: التوقيف: يقول ابن فارس، وهو من أصحاب القول الأول: "باب القول على لغة العرب: أتوقيف، أم اصطلاح؟ أقول: إن لغة العرب توقيف" (٣)
 - الثاني: المواضعة والاصطلاح: ويحكى ابن جني قول الذين يرون أنّ اللغة مواضعة واصطلاح، فيقول: "باب القول على أصل اللغة أ إلهام هي أم اصطلاح: هذا موضع محوج إلى فضل تأمل غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح لا وحي وتوقيف" (٤)
 - الثالث: محاكاة أصوات الطبيعية: ذكر هذا القول ابن جني، يقول: "وذهب بعضهم إلى أنّ أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدويّ الريح وحين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبي ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبّل" (٥)
- هذه الأقوال المتعلقة بقضية نشأة اللغة في التراث اللغوي العربي، وثمة أقوال جديدة في العصر

(٣) الصاحبي، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، السيد أحمد صقر، طبعة

البابي الحلبي. ص ٦

(٤) الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، ج ١، ص ٤٠

(٥) السابق، ج ١، ص ٤٦

الحديث متأثرة بما استجد من نظريات علمية، ومن أيديولوجيات معرفية،^(٦) فالقضية كما ذكرت في المقدمة من القضايا التي يصعب القول الفصل فيها، يعود ذلك إلى عدم وجود الخبر الصحيح الصريح الذي يؤيد أحد الأقوال، و عدم الوقوف الحسي على النشأة الأولى للغات، وصعوبة حسم الاستدلال العقلي فيها، فالأقوال مقبولة عقلاً غير محالة، وهذا ابن جني بعد أن نظر في المسألة، وفتش في أدلة القولين، وسبر حجج المذهبين، يقول: "واعلم فيما بعد أنني على تقادم الوقت دائم التنقير والبحث عن هذا الموضوع فأجد الدواعي والخوارج قوية التجاذب لي مختلفة جهات التغول على فكري. وذلك أنني إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة والدقة والإرهاق والرقّة ما يملك علي جانب الفكر حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر... وانضاف إلى ذلك وارد الأخبار الماثورة بأنها من عند الله عز وجل فقوى في نفسي اعتقاد كونها توفيقاً من الله سبحانه وأنها وحي.

ثم أقول في ضد هذا: كما وقع لأصحابنا ولنا وتنبهوا وتنبهنا على تأمل هذه الحكمة الرائعة الباهرة كذلك لا ننكر أن يكون الله تعالى قد خلق من قبلنا - وإن بعد مداه عنا- من كان ألطف منا أذهاناً وأسرع خواطر وأجرأ جناناً. فأقف بين تين الخلتين حسيراً وأكاثرها فأنكفئ مكتوراً. وإن خطر خاطر فيما بعد يعلق الكف بإحدى الجهتين ويكفها عن صاحبها قلنا به وبالله التوفيق"^(٧)

و إذا استثنينا القول الثالث نجد القولين الأولين هما الأشهر، ولكل قول مؤيدون ومفندون بناء على جملة من الأدلة يستندون عليها في بناء نظريتهم، وحجج يعتمدون عليها في تشييد رؤيتهم لنشأة اللغة، فأصحاب القول الأول: اللغة توقيف، يستدلون:

- بقول الله عز وجل: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا}، والاعتماد على تفسيرات العلماء

(٦) كتب فقه اللغة وعلم اللغة في العصر الحديث جمعت تلك الأقوال ينظر مثلاً: رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ص ١٩٠ وما بعدها.

(٧) الخصائص، ص٤٧

لها (٨)

- ويستدلون بقوله جل وعز: ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرضِ واختلافُ السِّتِّكُمْ وَاللَّوَانِكُمْ﴾، فالمراد بالألسنة هنا اللغات، وليس المقصود بها الأعضاء؛ لأنها غير مختلفة (٩)

- ومن أدلتهم كذلك: أنّ القول بأنها اصطلاحية يلزم الدور أو التسلسل؛ لاحتياجهم في التخاطب بوضعها إلى اصطلاح سابق وهكذا فلا بد من العودة والانتهاء إلى التوقيف (١٠) وأما أدلة أصحاب القول الثاني "أصل اللغة مواضعة واصطلاح" فمنها:

- القول بتوقيفية اللغة يقتضي تقدم البعثة على توقيف اللغة؛ لأنه إما أن يخاطب الله عز وجل كل فرد من البشر، وهذا لم يحدث، أو لا بد من نبي ينقل اللغة من الله عز وجل إلى البشر، يعلمهم اللغة وهو ما يراه أصحاب هذا الرأي باطلاً؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ فاللغة مقدمة على البعثة، ولسان القوم واقع لغوي من قبل الرسول. (١١)

- ومن الأدلة قولهم: " لو كانت اللغات توقيفية فذلك إما بأن يَخْلُقُ اللهُ تعالى علماً ضرورياً في العاقل أنّه وَضَعَ الألفاظ لكذا أو في غير العاقل أو بالألّا يَخْلُقُ علماً ضرورياً أصلاً والأوّل باطلٌ وإلا لكان العاقلُ عالماً بالله بالضرورة لأنه إذا كان عالماً بالضرورة بكوّن اللهُ وَضَعَ كذا لِكَذَا كان علمه بالله ضرورياً ولو كان كذلك لبطلَ التكليفُ.

(٨) الصاحبي، ص ٦

(٩) المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، و علي محمد الجاوي، ومحمد أبو

الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ج ١، ص ١٧

(١٠) السابق، ص ١٨

(١١) السابق، ج ١، ص ١٨

والثاني باطلٌ لأن غيرَ العاقل لا يمكنه إنهاءُ تمام هذه الألفاظ.

والثالث باطل لأن العلمَ بها إذا لم يكن ضروريا احتيج إلى توقيفٍ آخر ولزم التسلسل

(١٢)

وقد حاول كل فريق تفنيد أدلة المخالفين له، ونقد حججهم، وإسقاط الاستدلال بها، وهي أقوال مشهورة في مظانها. (١٣)

وليس المقام مقام ترجيح نظرية على أخرى، وتقديم قول على آخر، وتتبع مؤيدي كل قول ومفنديه، وإنما كان ما قبل توطئة من أجل معرفة القول الذي يتبناه ابن درستويه في نشأة اللغة؛ لمعرفة أثر هذه التصوّر على آرائه اللغوية.

رأي ابن درستويه:

وأما ابن درستويه فإنه لم يفرد هذه القضية بكتاب، أو فصل من كتبه التي وصلتنا، كما أنه لم يُذكر - فيما اطلعت - لا من أصحاب القول بتوقيفية اللغة، ولا من القائلين بالاصطلاح والمواضعة، وذلك يعود إلى عدم تطرق ابن درستويه إلى هذه القضية، والحديث عنها، وحشد أقوال الفريقين، وذكر أدلتهم، ومنازع خلافهم.

ولكنني وجدت نصاً لابن درستويه صريحاً في موقفه من قضية نشأة اللغة، فهو من القائلين بالتوقيف، ويرى أنّ واضع اللغة هو الله عز وجل، وذلك في كتابه تصحيح الفصيح وشرحه؛ إذ يقول: "وواضع اللغة - عز وجل - حكيم عليم". (١٤)

ولم يذكر ابن درستويه أدلة هذا المذهب، ولا حججه؛ لأن القضية لم تكن تشغله،

(١٢) المزهر، ج ١، ص ١٨

(١٣) ينظر المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج ١، ص ١٨

(١٤) تصحيح الفصيح وشرحه، تحقيق: محمد بدوي المختون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة،

العلاقة بين تصوّر ابن درستويه لنشأة اللغة وآرائه اللغوية

وإنما ذكر هذا النص عرضاً، وبه استطعنا معرفة رؤيته في هذه القضية، وعدّه من القائلين بالتوقيف، وضم اسمه إلى أسماء العلماء الآخرين القائلين بهذا القول.

تعقيب:

- أولاً: مسألة نشأة اللغة وأصلها من المسائل الخلافية عند العرب، وغيرهم من الأمم، غير خاصة بالتراث العربي، يقول صاحب كتاب مسألة أصل اللغات: "إنّ مسألة أصل اللغات تتعلق بمجالات تبدو منظمة بطريقة ثنائية، ونتيجة لذلك تقوم على طروحات تعارضية، هذه الأزواج محصية منذ القدم، وهكذا فإن الأصل: إلهي أو إنساني، مواضعاتي أو طبيعي، ترجي أو لحظي، اعتباطي أو معلل، عارض أو ضروري"^(١٥)

واستحضار ذلك من شأنه أن يوسّع النظر في هذه القضية، ويصحح بعض تفسيرات الباحثين تجاه نظريات نشأة اللغة ومتبنيها، كمن يرى: أن السبب الرئيس في الخلاف في هذه المسألة هو خلاف عقدي بين من يثبت صفة الكلام لله عز وجل ومن ينفيه.^(١٦)

والربط بين نشأة القول، توقيفية اللغة أو اصطلاحيتها، والخلاف في صفة الكلام لله عز وجل غير صحيح، فالخلاف في نشأتها قائم عند الأمم الأخرى ممن لم تدخل في الخلاف العقدي، وقد يُستشهد بكلام ابن تيمية في المسألة مع ذكره لتبني بعض الطوائف أحد القولين، إذ يقول: "قال قوم: إنها توقيفية وهو قول أبي بكر عبد العزيز والشيخ أبي محمد المقدسي وطوائف من أصحاب الإمام أحمد؛ وهو قول الأشعري وابن فورك وغيرهما. وقال قوم: بعضها توقيفي وبعضها اصطلاحي. وهذا قول طوائف: منهم ابن عقيل وغيره. وقال قوم: يجوز فيها

(١٥) سيلفان أورو، مسألة أصل اللغات، ترجمة ناديا العمري، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة

الأولى ٢٠١٣،

(١٦) ترحيب الدوسري، نشأة اللغات مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، ع ٤٥٤،

٢٠٠٨، ص ٢٥٤

هذا وهذا ولا نجزم بشيء. وهذا قول القاضي أبي يعلى والقاضي أبي بكر بن الباقلاني وغيرهما. ولم يقل: إنها كلها اصطلاحية إلا طوائف من المعتزلة ومن اتبعهم - ورأس هذه المقالة أبو هاشم ابن الجبائي^(١٧)

وهو استشهاد في غير محله، فابن تيمية لم يربط نشأة القول بالخلاف العقدي، وإنما ذكر تبني الطوائف لأحد القولين، وذكر في موضع آخر أول من تبني القول باصطلاحية اللغة، وأن قائل هذا الرأي " يدعي أن قوما من العقلاء اجتمعوا واصطلحوا على أن يسموا هذا بكذا وهذا بكذا ويجعل هذا عاما في جميع اللغات. وهذا القول لا نعرف أحدا من المسلمين قاله قبل أبي هاشم بن الجبائي^(١٨)

وفرق بين نشأة القول وبين تبنيه في التراث الإسلامي، فابن تيمية لم يدع أن القول باصطلاحية اللغة نشأ في الفكر الاعترالي، وأن الجبائي صاحبه، وأول من قال به، وإنما غاية ما ذكره ابن تيمية تبني هذا الرأي في الفكر الإسلامي.

- ثانيا: القول بتوقيفية نشأة اللغة مشهور في التراث الإنساني، وليس هذا القول خاص بالمسلمين، أو بطائفة منهم، فيكاد يكون هو القول الأكثر شهرة، والأكثر تبني - على التقريب لا الإحصاء والتدقيق - يقول إدوارد سعيد "كان ما ذكره وليم جونز في كتابه أحاديث الذكرى السنوية (١٧٨٥-١٧٩٢) أو ما عرضه فرانتس بوب في كتاب النحو المقارن(١٨٣٢) ينحصر من جميع الجوانب وبمختلف الصور في أن القول بأصول إلهية للغة قد تصدع قطعاً، وأن هذه الفكرة أصبحت مشكوكاً فيها . أي إن الحاجة قد نشأت، باختصار، لوضع تصور تاريخي جديد"^(١٩)

لا نريد الدخول في تفاصيل أسباب ذلك التصدع، وتتبع تاريخها العلمي، وظروفها

(١٧) مجموع الفتاوى، تحقيق أنور الباز، عامر الجزار، دار الوفاء، ط ٣، ١٤٢٦هـ، ج ١٢، ص ٤٤٧

(١٨) مجموع الفتاوى، ج ٧، ص ٩٠

(١٩) إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة محمد عناني، دار رؤية، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٦، ص ٢٢٩

العلاقة بين تصوّر ابن درستويه لنشأة اللغة وآرائه اللغوية

الثقافية، لكن في مجملها تعود إلى تزعر الثقة بين المجتمع العلمي، والكنيسة، فأصبح الباحثون لا يتقون في الكنيسة، وتعود كذلك إلى الداروينية التي تنهاها الغرب، وجاءت بديلة للنصوص الدينية في تفسير العلوم، والملاحظ أن هذا التصدع المذكور قد بزغ في عصور متأخرة مما يدل على قيامه و تماسكه قبل ذلك، وقد رأينا من قبل كلام ابن تيمية في توصيف انتشار هذا القول، وأنبّه هنا أن غاية ما أردت توصيف انتشار القول، لا الحديث عن قوته وترجيحه؛ لأن في تصور انتشاره ما يكشف للباحث الأسباب الحقيقية في تبنيه، والأسباب غير الحقيقية، أو غير المؤثرة التي يحاول بعض الباحثين بما تعليل تبني بعض اللغويين هذا القول، ومساندتهم له، كمن يربط بين القول بالتوقيف، والانتساب إلى التشيع، والانتماء إلى المدرسة الكوفية، ف"كلام المذهبين خليق بأن يدفع ابن فارس إلى القول بالتوقيف"^(٢٠)

وهو تعليل بحاجة إلى إعادة نظر؛ فأولاً: لم يثبت انتساب ابن فارس إلى التشيع، فهذا ادعاء بحاجة إلى بيّنة، ثم القول بالتوقيفية هو القول الأشهر في التراث الإسلامي، فليس خاصاً بالتشيع، وثانياً: رأينا ابن درستويه- وهو يميل إلى البصريين- متبني القول نفسه، وغيره كثير من اللغويين.

فاستحضر هاتين النقطتين قد يعين على الخروج من تلك التفسيرات غير المبنية على أدلة علمية.

(٢٠) عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، ص ٧٨

المبحث الثاني

آراء ابن درستويه اللغوية.

لا يعنى البحث بتتبع آراء ابن درستويه، وحصرها، فقد تتبعها الدراسات السابقة، ولا يشتغل البحث بها، وكذلك ليس المقصود تحرير القول في كل هذه الآراء، فكانت هذه الآراء مادةً لكثير من البحوث والدراسات، وإنما الغاية معرفة أهم الآراء التي تبناها ابن درستويه، ومحاولة تفسيرها، واختبار فرضيات البحث، فهل بالإمكان ربط الآراء بتصوره لنشأة اللغة؟
أولاً: اتفاق الأبنية في المعنى:

من الظواهر اللغوية في العربية اتفاق معاني بعض الأبنية، وتناوبها، فيصبح للبنائين معنى واحد، أو يأتي البناء على معنى بناء آخر مثل: فَعَّلَ وفاعل، وفعَّلَ بمعنى فاعل ومفعول، وفعيل وفعَّال

ومنها: فَعَّلَ وَأَفْعَلَ، وقد لحظ هذه الظاهرة العلماء في بواكير الأعمال اللغوية، والرصد العلمي لظواهر اللغة، ولا أدل على ذلك من أفرادها بمؤلف مستقل، ومن اللغويين الذين أفردوها بالتأليف:

- محمد بن المستنير "قطرب" (ت ٢٠٦هـ)
- يحيى بن زياد "الفراء" (ت ٢٠٧هـ)
- معمر بن المثنى "أبو عبيدة" (ت ٢١٠هـ)
- سعيد بن أوس "أبو زيد الأنصاري" (ت ٢١٥هـ)
- عبد الملك بن قريب "الأصمعي" (ت ٢١٦هـ)
- القاسم بن سلام "أبو عبيد" (ت ٢٢٤هـ)
- سهل بن محمد "السجستاني" (ت ٢٥٥هـ)

- إبراهيم بن السري "الزجاج" (ت ٣١٠هـ)

وغيرهم من العلماء جمعوا ما يتعلق بهذه الظاهرة.

ولم تخلُ المدونات اللغوية، ومصادر علوم العربية من حديث عن هذه الظاهرة، نجدها عند سيويه (ت ١٨٠هـ)، وابن السكيت (ت ٢٤٦هـ)، وابن قتيبة (ت ٢٦٧هـ)، وثعلب (ت ٢٤٦هـ)، وابن القوطية (ت ٣٧٦هـ)، وابن جني (ت ٣٩٢هـ)، وابن فارس (ت ٣٩٥هـ)... وغيرهم.

وقد كان يُقسّم الحديث عن (فَعَلَ وَأَفْعَلَ) إلى أبواب عدة:

الأول: فعلت وأفعلت باتفاق المعنى.

وفيه جُمعت الألفاظ التي على وزن فعل وأفعل والمعنى واحد.

والثاني: فعلت وأفعلت باختلاف المعنى.

وفيه جُمعت الألفاظ التي على وزن فعل وأفعل والمعنى مختلف.

ثم يكون الحديث عما تُكَلِّم فيه بفعلت دون أفعلت، ثم بما جاء على أفعلت دون فعلت.

وقد يُفرد القسم الأول بمؤلف مستقل دون الحديث عن القسم الأول كما فعل أبو منصور

الجواليقي (ت ٥٤٠هـ) في كتابه: ما جاء على فعلت وأفعلت بمعنى واحد.

والكسائي بعد أن طاف بادية العرب؛ لجمع شوارد اللغة العربية يتحدث عن هذه الظاهرة

ظاهرة اتفاق المعنى في البنائين فعل وأفعل بما يوحي كثرتها وشبه اطرادها، يقول: "قلما سمعت

في شيء فعلت إلا وقد سمعت فيه أفعلت" (٢١).

فالمسألة تتعلق بمجيء (فعل وأفعل) بمعنى واحد، فجمعٌ من اللغويين - كما رأينا - يشنون

(٢١) عن المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج ٢، ص ٤٠٧

ذلك، وسنرى رأي ابن درستويه.

رأي ابن درستويه:

من كتب ابن درستويه المفقودة كتاب فعلت وأفعلت، وقد أحال إليه في كتابه تصحيح الفصيح وشرحه، يقول مشيراً إلى كتابه المفقود: "يقال طل القتل نفسه، وطل دمه، أي بطل. وقد طلله قاتله، أي أبطله هو طال للدم، والدم مطلول. والعامّة تقول: أطل دمه بألف. وزعم أهل اللغة أن القولين جميعاً جائزان، بمعنى واحد، وقد بينا الصحيح من ذلك بحججه في كتاب "فعل وأفعل" (٢٢)

في هذا النص دلالة على رأي ابن درستويه في المسألة، فقد نسب أطل بالألف إلى العامّة، وهو ما يدل على تخطئته، فمن عاداته في كتابه التصحيح أن يشير إلى صحة ما ذهب إليه العامّة إن كان صواباً، وقد أردف قوله في المثال بالإحالة إلى كتابه الذي خصصه لدراسة الظاهرة، وذكر فيه حججه لكنه للأسف من الكتب المفقودة، وليس لنا إلا أن نتتبع أقواله في التصحيح لتكتمل الصورة، ففي موضع آخر يقول: "وأما قوله في رعد و برق في باب فعلت، أنه يقال فيه أيضاً: أرعد وأبرق؛ فإن لكل واحد من هذين معنى يخصه، ولا يكون فعل وأفعل بمعنى واحد، كما لم يكونا على بناء واحد" (٢٣)

وهذا تأكيد لتفرد كلّ مبنى بمعنى، ومنع تناوبهما على معنى واحد، وابن درستويه كما تقدم من العلماء المعتمدين، ومن المدققين في أقوال السابقين، والعارفين بها، فمنعه لتناوب البنائين ليس لقلّة علم بلغة العرب، أو الجهل بآراء العلماء فيها، فهو يعلم أنّ من اللغويين من يذهب خلاف مذهبه، ويقرر خلاف تقريره، يقول: "وأهل اللغة أو عامتهم يزعمون أن فعل وأفعل بهمزة وبغير همزة، قد يجيئان بمعنى واحد. وأن قولهم: دير بي، وأدير بي من ذلك، وهو

(٢٢) تصحيح الفصيح، ص ٩٩

(٢٣) السابق، ص ٧٠

العلاقة بين تصوّر ابن درستويه لنشأة اللغة وآرائه اللغوية

قول فاسد في القياس والعقل، مخالف للحكمة والصواب". (٢٤)

ففي هذا النص يصرح ابن درستويه بأن القول الأشهر عند اللغويين، والأكثر في مذهبهم القول بمجيء (فعل وأفعل) بمعنى واحد، ويحكم على هذا الرأي الذي يتبناه عامة أهل اللغة بالفساد، ومخالفته للصواب.

إنّ القارئ لكتاب ابن درستويه يدرك أنّه ينكر مجيء بنائين باتفاق المعنى، وأنه يخالف عامة اللغويين في هذا القول، ويصف قولهم بالفساد، ومخالفته للحكمة والصواب، ولكن كيف يفسر الواقع اللغوي الذي جاء بأمثلة على هذه الظاهرة، وسماع اللغويين هذا التناوب ممن يستشهد بأقوالهم؟

يحاول ابن درستويه تخرّيج كلّ مثال على هذه الظاهرة، فالأصل عنده اختلاف معنى البنائين، والصواب استقلال كلّ بناء بمعنى واحد، وأما ما جاء في الاستعمال اللغوي من (فعل وأفعل) باتفاق المعنى فإنه يحاول تخرّيجه، ويجتهد في تفسيره، ويبحث عن تعليقه؛ لمجيئه خلاف، يقول: "ولا يكون فعل وأفعل بمعنى واحد، كما لم يكونا على بناء واحد إلا أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتين؛ فأما من لغة واحدة، فمحال أن يختلف اللفظان، والمعنى واحد، كما يظن كثير من النحويين واللغويين. وإنما سمعوا العرب تتكلم بذلك، على طباعها، وما في نفوسها؛ من معانيها المختلفة، وعلى ما جرت به عاداتها وتعارفها، ولم يعرف السامعون تلك العلة فيه والفروق فظنوا أنهما بمعنى واحد، وتأولوا على العرب هذا التأويل من ذات أنفسهم؛ فإن كانوا قد صدقوا في رواية ذلك عن العرب؛ فقد أخطئوا عليهم في تأولهم ما لا يجوز في الحكمة، وليس يجيء شيء من هذا الباب، إلا على لغتين متباينتين كما بينا، أو يكون على معنيين مختلفين، أو تشبيه شيء بشيء، على ما شرحناه في كتابنا الذي ألفناه في افتراق معنى فعل

(٢٤) السابق، ص ٩٣

وأفعل، ومن هناك يجب أن يتعرف ذلك".^(٢٥)

وبناء عليه فما جاء من لغة العرب من (فعل وأفعل) بمعنى واحد يعود إلى:

- اختلاف اللغات، ويستحيل في لغة واحدة، هذا التوافق بين لغات العرب كالتوافق بين لغة العرب ولغات الشعوب الأخرى، وكما أننا لا نحكم على التوافق بين اللغة العربية وغيرها من اللغات أنه من التناوب أو الترادف أو الاتفاق في الأصل، كذلك نفعل مع لغات العرب، ويقول: "ولا يجب أن يكون لفظان مختلفان لمعنى واحد، إلا أن يجيء أحدهما في لغة قوم، والآخر في لغة غيرهم، كما يجيء في لغة العرب والعجم، أو في لغة رومية، ولغة هندية".^(٢٦)

وقياس لغات العرب فيما بينها على اللغة العربية وغيرها من اللغات فيه شيء من التكلف، فالأصل في لغات العرب الاتفاق والاشترار، والاختلاف خلافه، والأصل في علاقة العربية بغيرها الخلاف على الأقل في تلك الحقبة القريبة التي دُوت فيها اللغات، وإن انطلقت من أصل واحد في الماضي البعيد.

- وقد يكون هذا التوافق بين البنائين مما خفيت فيها الفروق المعنوية على اللغويين، فابن درستويه يثبت الظاهرة في الواقع اللغوي، وينكرها في أصل الوضع.

ورأي ابن درستويه في (فعل وأفعل) يتوافق وآرائه الأخرى في علاقة الأبنية بالمعاني، فكل اختلاف في البناء يلزم منه اختلاف في المعنى، ولو اتفقت الحروف، واختلفت الحركات، يقول: "اعلموا أنه ليست كلمة تأتي بحركتين مختلفتين؛ إلا لاختلاف معنيهما، ولا يجوز أن تختلف الحركتان والمعنى فيهما واحد؛ لأن كل حركة موضوعة لمعنى، كما أن كل حرف لمعنى، وإن كان كثير من اللغويين يتوهمون أن الكلمة قد تفتح وتضم بمعنى واحد؛ لحفاء الفرق بينهما عليهما، واشتباه المعنيين عندهم".^(٢٧)

^(٢٥) تصحيح الفصيح وشرحه، ص ٧٠

^(٢٦) تصحيح الفصيح، ص ٩٣

^(٢٧) السابق، ص ٣٥٥

وذلك يدل على صدور الآراء اللغوية عنده من رؤية واضحة، وانطلاقها من أصول واحدة، هذه الأصول تنبثق منها كل ما يتعلق بعلاقة اللفظ بالمعنى، وسنرى تأكيد ذلك فيما سيأتي من البحث.

ثانياً: علاقة الألفاظ بالمعاني:

الأصل في الألفاظ التباين، وذلك بأن يكون لكل لفظ معنى، وقد تعدد الألفاظ في المعنى الواحد، أو تعدد معاني اللفظ الواحد، يقول سيبويه في باب اللفظ للمعاني: "اعلم أنّ من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين... فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلس وذهب. واختلاف اللفظين والمعنى واحدٌ نحو: ذهب وانطلق. واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجدت عليه من المؤجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة. وأشبه هذا كثير". (٢٨)

وقد اصطلح العلماء على تسمية اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين تبايناً، وتسمية اتفاق اللفظين والمعنى واحد ترادفاً، وتسمية تعدد المعاني للفظ الواحد مشتركاً لفظياً، وبجانب تلك العلاقات بين الألفاظ والمعاني علاقة التضاد، وهي دلالة اللفظ الواحد على المعنى وضده. فأما الترادف فقد أفرده بعض المتقدمين بالتأليف، منهم:

- الأصمعي (٢١٦هـ) سمي كتابه: ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه.
- المبرد (٢٨٦هـ) له كتاب بعنوان: ما اتفق لفظه واختلف معناه.
- الرماني (٣٨٤هـ): الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى

ومن العلماء من أنكر ذلك، فذكروا أن تطابق اللفظين في معنى واحد لا وجود له في اللغة، وما ظاهره تطابق في المعنى إنما هو تقارب وليس تطابقاً، فبين تلك الألفاظ المتقاربة فروق

(٢٨) الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة. ج ١، ص ٢٤

معنوية، منهم أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ) صاحب كتاب الفروق اللغوية الذي بُني على فكرة سير الفروق اللغوية بين الألفاظ المتقاربة في المعنى، والكشف عنها.

ومنهم ابن فارس الذي يرى منع الترادف في الذات في الأسماء، وجوازه في الصفات، ولكل صفة منها معنى مستقل، يقول: "ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة. نحو: "السيف والمهتد والحسام"، والذي نقوله في هَذَا: إن الاسم واحد وهو "السيف" وَمَا بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى. وقد خالف في ذلك قوم فرعموا أنها وإن اختلفت ألفاظها فإنها ترجع إلى معنى واحد. وذلك قولنا: "سيف وعضب وحسام".

وقال آخرون: ليس منها اسم ولا صفة إلا ومعناه غير معنى الآخر. قالوا: وكذلك الأفعال. نحو: مضى وذهب وانطلق. وقعد وجلس. ورقد ونام وهجع. قالوا: ففي "قعد" معنى ليس في "جلس" وكذلك القول فيما سواه. وبهذا نقول، وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب". (٢٩)

وأما الأضداد فقد ألف بعض العلماء فيها كتباً منهم:

- أبو سعيد عبد الملك بن قريب "الأصمعي" (ت ٢١٦ هـ)
- أبو يوسف يعقوب بن السكيت (ت ٢٤٤ هـ)
- أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت ٢٥٥ هـ)
- أبو بكر محمود بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨ هـ)
- أبو سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان (ت ٥٦٩ هـ)
- أبو الحسن بن محمد الصغاني (ت ٦٥٠ هـ)

العلاقة بين تصوّر ابن درستويه لنشأة اللغة وآرائه اللغوية

وهو مثل الترادف في إنكار بعض العلماء له، وقد حكى ابن فارس هذا الإنكار الذي يراه ليس بشيء؛ لأنه ثابت روايةً عن العرب، يقول: "وأنكر ناس هَذَا المذهب وأن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده. وهذا ليسَ بشيء. وذلك أن الَّذِينَ رَوَوْا أن العرب تُسمي السيف مَهْنَدًا وَالْفَرَسَ طَرْفًا هم الَّذِينَ رَوَوْا أن العرب تُسمي المتضادَّين باسم واحد. وَقَدْ جَرَدْنَا فِي هَذَا كِتَابًا ذَكَرْنَا فِيهِ مَا احتجوا به، وذكرنا ردَّ ذَلِكَ ونقضه، فلذلك لم نكره" (٣٠)

فالعلماء الذين نقلوا لنا اللغة ألفاظاً ومعانٍ، نقلوا لنا تلك العلاقات بين المباني والمعاني ومنها التضاد، فلا وجه لإنكاره، وقد يقول قائل كذلك الحال في الترادف، فالذين نقلوا لنا الألفاظ والمعاني نقلوا دلالة اللفظين والألفاظ على معنى واحد، أليس في ذلك شيء من اضطراب القول؟

والجواب: ابن فارس لم ينكر دلالة أكثر من لفظ على معنى واحد، وإنما أنكر أن تكون كلها مسميات لمسمى واحد، وأنكر أن تتطابق في المعنى، وهو ما يسمى بالترادف التام، أو الكامل الذي يتيح استعمال اللفظتين في كل سياق من غير التماس أي فارق معنوي. (٣١)

سنتجاوز الحديث عن الخلاف في التضاد أو الترادف، وحجج المانعين، وأدلة المثبتين؛ لأن الدراسات كثيرة في هذه القضية، وإنما كان القصد بيان حال القضية في البيئة العلمية، وعند المختصين في الدراسات اللغوية، لتكون توطئة لمعرفة قول ابن درستويه، ورأيه في تلك المسائل.

رأي ابن درستويه:

رأي ابن درستويه في علاقة الألفاظ بالمعاني كراهيه في دلالة الأبنية، فإنه يرى أن لكل لفظ معنى، وقد رأينا من قبل إنكاره أن تختلف الحركات وتتفق المعاني فضلاً عن اختلاف

(٣٠) الصاحبي، ص ١١٧

(٣١) أحمد مختار عمر، ظاهرة الترادف بين القدماء والمحدثين، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع ٦٤، مج ٢،

الحرف، أو الكلمة،^(٣٢) وكذلك ينكر دلالة اللفظ الواحد على معانٍ مختلفة، يقول عند حديثه عن المعاني المتعددة لكلمة "وجد": "وهذه اللفظة من أقوى حجج من يزعم أن من كلام [العرب] ما يتفق لفظه ويختلف معناه؛ لأن سبويه ذكره في أول كتابه، وجعله من الأصول المقدمة؛ فظن من لم يتأمل المعاني، ولم يلحق الحقائق: أن هذا لفظ واحد قد جاء لمعانٍ مختلفة؛ وإنما هذه المعاني كلها شيء واحد؛ وهو إصابة الشيء خيرا كان أو شرا".^(٣٣) هنا يحاول ابن درستويه تحريج ما نقله العلماء عن العرب من دلالة اللفظة على معاني متعددة، وذلك بالبحث عن المعنى الكلي، والدلالة العامة التي تجمع تلك المعاني المتعددة.

وأما الأضداد فقد ألف في إبطاها كتاباً مستقلاً وهو كتاب مفقود أشار إليه في كتابه تصحيح الفصيح وشرحه، عند حديثه عن معاني النوء، يقول: "النوء ... الارتفاع بمشقة وثقل. ومنه قيل للكواكب قد ناء، إذا طلع فهو ينوء. وقد قيل للجارية الممتلئة اللحيمة إذا نخصت: قد ناءت وللدابة: قد ناء بحمله، أي نخص. ومنه قول الله عز وجل: (مَا إِنَّ مَقَاتِحُهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ). وقد زعم قوم من اللغويين أن النوء: السقوط أيضاً، وأنه من الأضداد. وقد أوضحنا الحجة عليهم في ذلك في كتابنا في: "إبطال الأضداد" وليس هذا موضع ذكره".^(٣٤)

إذن فابن درستويه ينكر في الأصل: المشترك اللفظي والترادف والتضاد، كما كان ينكر توافق الأبنية على معنى واحد.

ثالثاً: القلب:

من الظواهر التي لم نخطها عينُ جامعي اللغة، ولفتت انتباههم ظاهرة القلب، قلب حروف الكلمة بالتقديم والتأخير مع اتفاق المعنى، وقد عدَّ ابن فارس ذلك من سنن العرب في

^(٣٢) ص ١٥ من هذا البحث

^(٣٣) تصحيح الفصيح وشرحه، ص ١٨٨

^(٣٤) الصاحبي، ص ١٨٥

العلاقة بين تصوّر ابن درستويه لنشأة اللغة وآرائه اللغوية

كلامها، وذكر أنه كثير في كلام العرب، ولكن ليس في القرآن منه شيء، يقول: "ومن سنن العرب القلب. وذلك يكون في الكلمة، ويكون في القصة، فأما الكلمة فقولهم: "جذب، وجبذ" و"بكل، ولبك" وهو كثير وقد صنّفه علماء اللغة، وليس من هذا فيما أظن من كتاب الله جلّ ثناؤه شيء". (٣٥)

وقد ذكر ابن دريد (ت ٢٢٣هـ) في كتابه جمهرة اللغة هذه الظاهرة، كما ذكر زعم بعض النحويين أنّها لغات وليست من باب قلب الحروف بالتقديم والتأخير في لغة واحدة، يقول: "باب الحُرُوفِ الَّتِي قُلِبَتْ وَزَعَمَ قَوْمٌ مِنَ النَّحْوِيِّينَ أَنَّهَا لُغَاتٌ". (٣٦)

رأي ابن درستويه

وأما ابن درستويه فقد ألف كتاباً يبطل فيه القلب، وقد أسماه "إبطال القلب"، وهو من كتبه المفقودة، ومن عنوانه يُعرف رأي ابن درستويه في هذه الظاهرة، قد ورد نصان في كتابه تصحيح الفصيح يدلان على مذهبه، في الأول يقول: "أما قوله: شُدِهُتْ، وأنا مشدوه؛ أي شغلت، فليس شدهت عندنا بمعنى شغلت كما ذكر، ولكنه شبيه بقوله: دهشت، يتقارب معنيهما لتقارب لفظيهما، لا لانتقال أحدهما من الآخر، كما جعله قوم من اللغويين من باب المقلوب، ولو كان معناه شغلت كما فسروا، لما جاز لهم أن يدعوا فيه القلب، كما ادعوا ذلك في "جذب وجبذ" لاشتباههما في المعنى واللفظ، لأن شدهت ليس بمعنى شغلت" (٣٧)

وفي النص الثاني يقول: "وأما البطيخ ففاكهة معروفة، وهي بكسر الأول، وتشديد الثاني على بناء فِعِيل وهي عربية محضة، وفيها لغة أخرى، وهي الطيخ، بتقديم الطاء، وليس عندنا

(٣٥) السابق، ص ٣٢٩

(٣٦) تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م، ج ٣، ص ١٢٥٤

(٣٧) تصحيح الفصيح وشرحه، ص ٩٥

على القلب كما يزعم اللغويون. وقد بينا الحجة في ذلك في "إبطال القلب". (٣٨)

فهو تابع للنحويين الذين قصدهم ابن دريد بقوله السابق: ومن النحويين من يزعم أنها لغات.

هذه جملة من آراء ابن درستويه اللغوية، وهي ليست مسائل منفردة، بل قضايا كلية تنطوي تحتها كثير من المسائل، والعديد من الأمثلة، وتُصنف تحتها كثير من المفردات. وهذه الآراء سنحاول تفسيرها لنصل إلى فرضية البحث التي يمكن أن نطمئن إليها بعد عرض تصور ابن درستويه، وبيان جملة من آرائه اللغوية.

تفسير آراء ابن درستويه:

ما فتى ابن درستويه يذكر الحكمة في تعليقه لآرائه اللغوية، وفي رده لبعض الظواهر اللغوية، أو تأويلها، فالصورة لفكر ابن درستويه اللغوي يمكن إجمالها في قولنا: اللغة من عند الله عز وجل وهو حكيم سبحانه وتعالى، والحكمة ظاهرة في اللغة، ولا يمكن أن يكون فيها ما يتعارض وهذا الأصل، وإن ثبت ما ظاهره غير ذلك، فيجب البحث فيه عن الحكمة الغامضة، ومحاولة التنقيب عنها، وإن جاء الاستعمال بغير ذلك ينبغي على اللغوي محاولة تخريجه، وتفسيره، و النظر في أسبابه، والإخلال ببيان ذلك مما يُعاب به اللغوي، وقد رمى النحويين بالقصور والضعف عندما أثبتوا ما يعتقد هو أنه منافع للحكمة.

والنصوص الدالة على ما ذكرت من تفسير مبثوثة في كتاب ابن درستويه تصحيح الفصح وشرحه، وهي كافية من وجهة نظري لتأكيد ما وصلنا إليه من كشف لسبب مؤثر تأثيراً قويا في تبني ابن درستويه تلك الآراء اللغوية، وأن هذا التصور لنشأة اللغة من منطلقات ابن درستويه في أقواله العلمية، ومن تلك النصوص الكاشفة لما ذكرت:

- "محال أن يختلف اللفظان، والمعنى واحد، كما يظن كثير من النحويين واللغويين. وإنما

العلاقة بين تصوّر ابن درستويه لنشأة اللغة وآرائه اللغوية

سمعوا العرب تتكلم بذلك، على طباعها، وما في نفوسها؛ من معانيها المختلفة، وعلى ما جرت به عاداتها وتعارفها، ولم يعرف السامعون تلك العلة فيه والفروق فظنوا أنهما بمعنى واحد، وتأولوا على العرب هذا التأويل من ذات أنفسهم؛ فإن كانوا قد صدقوا في رواية ذلك عن العرب؛ فقد أخطئوا عليهم في تأولهم ما لا يجوز في الحكمة، وليس يجيء شيء من هذا الباب، إلا على لغتين متباينتين كما بينا، أو يكون على معنيين مختلفين، أو تشبيه شيء بشيء، على ما شرحناه في كتابنا الذي ألفناه في افتراق معنى فعل وأفعال، ومن هناك يجب أن يتعرف ذلك".^(٣٩)

فابن درستويه يسلّم بوجود هذه الظاهرة في اللغة العربية، ويتق في روايتها عن العرب، ولكنه - بسبب الانطلاق من تلك الرؤية للغة ينكر أن تكون من لغة واحدة، فالأمر عنده لا يخرج عن حالات ثلاث: إما أنهما من لغتين مختلفتين^(٤٠)، أو المعنى المختلف، أو جاءت على وجه من التشبيه، وقد خفي ذلك على جامعي اللغة، ولم يجتهد اللغويون في تحليلها، والبحث عن تفسيرها، وهذا المعنى ما انفك ابن درستويه عن تكراره، والإحالة عليه، و تأكيده في كثير مما يعرض له من ظاهر لغوية من هذه البابة في تصحيح الفصح، يقول: "وقفت الدابة، ووقفت وقفاً للمساكين، ووقفت أنا، لا يجوز أن يكون الفعل اللازم من هذا النحو والمجاوز على لفظ واحد، في النظر والقياس؛ لما في ذلك من الإلباس، وليس إدخال الإلباس في الكلام من الحكمة والصواب وواضع اللغة - عز وجل - حكيم عليم. وإنما اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني، فلو جاز وضع لفظ واحد، للدلالة على معنيين مختلفين، أو أحدهما ضد للآخر، لما كان في ذلك إبانة، بل كان تعمية وتغطية.

ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذا لعل؛ كما يجيء فعل وأفعال، فيتوهم من لا

^(٣٩) تصحيح الفصح، ص ٧٠

^(٤٠) القول باختلاف لغات العرب لا يتعارض والقول بتوقيفية اللغة، وقد أفرد ابن فارس للغات العرب بابا في كتابه الصحاح.

يعرف العلل، أنهما لمعنيين مختلفين، وإن اتفق اللفظان. فالسماع في ذلك صحيح عن العرب، والتأويل عليهم خطأ، وإنما يجيء/ ذلك في لغتين متباينتين، أو لحذف واختصار، وقع في الكلام، حتى اشتبه اللفظان، وخفي سبب ذلك على السامع، فتأول فيه الخطأ". (٤١)

فقد صرح ابن درستويه هنا بتعليل رأيه، وتفسير قوله، وهو يعود لصورة فكره الذي ذكرته في صدر هذا المحور، فحكمة اللغة تقتضي تفرّد كل بناء بمعنى، وكل لفظة بمعنى، وعليه يُقاس ما لم يصرح.

وقد نستطيع بهذا الأصل الذي ذكرته، والتفسير الذي بينت، وهو الانطلاق من رؤية ابن درستويه لنشأة اللغة، وتصوره لمقاصدها من الإبانة، ورفع اللبس، واستحضار الحكمة فيها تفسير آرائه الأخرى غير ما ذكر في هذا البحث^(٤٢)، كراهيه في تناوب حروف الجر، فقد ألف في هذه المسألة كتاباً لم يصلنا، أسماه "إبطال تناوب حروف الجر"، يقول في تأييد إنكاره للتناوب معتمداً على الأصل الذي ذكرته: "ومن مذهبه [أي ثعلب]، ومذاهب كثير من أهل اللغة، أن حروف الجر تتعاقب، فيقع كل واحد منها مكان الآخر، بمعنى واحد. وهذا إبطال حقيقة اللغة، وإفساد الحكمة فيها، وضد ما يوجب العقل والقياس. وكل من كان على غير مذهبهم من أهل التحصيل والمعرفة، ينكرون ذلك. فإنكار مؤلف هذا الكتاب ما عليه العامة، واعتقاده واعتقاد أصحابه، دليل على فساد مذهبهم. وقد بينا هذا على الاستقصاء، في كتابنا في الرواية التي وصفناها وفي إبطال تعاقب الحروف".^(٤٣)

القياس عند ابن درستويه:

و ابن درستويه يحتفي بالقياس، ويعتمد عليه في تفسير القضايا اللغوية، وبشكل

(٤١) تصحيح الفصح، ص ٧١، ٧٠.

(٤٢) التزم البحث بالقضايا اللغوية، ولم يتطرق لقضايا النحو وأصوله والصرف.

(٤٣) تصحيح الفصح، ص ١٦٨.

العلاقة بين تصوّر ابن درستويه لنشأة اللغة وآرائه اللغوية

يوحي تقديمه، والعناية به، فاللغة وحي من الله عز وجل جاءت وفق حكمته منتظمة مطّردة، والواجب على اللغوي الكشف عن عللها، و تقريب قوانينها، وعدم الاكتفاء بالرواية عن العرب دون تدقيق وتمحيص، ودراية بما يُجمع، ودون إعادة نظر، وبحث عن العلل والأسباب، يقول في باب الأفعال التي لم يُسمَّ فاعلها، ولم يُسمع من العرب بناؤها للفاعل: "وعامة أهل اللغة يزعمون أن هذا الباب لا يكون إلا مضموم الأول، ولم يقولوا إنه إذا سمي فاعله جاز بغير الضم، وهذا غلط منهم؛ لأن الأفعال كلها مفتوحة الأوائل في الماضي فإذا لم يسم فاعلها فهي كلها مضمومة الأوائل، ولم يخص بذلك بعضها دون بعض. وقد بينا ذلك بعلله وقياسه؛ ليستغني بمعرفته القياس عن تقليد "ثعلب" وغيره". (٤٤)

فينبغي أن تُبين الأقيسة اللغوية، وتُوضح القوانين المطردة، وأن تكون من منهجية عالم اللغة أن يُعنى ببيان القياس، ولا تَقَلَّ عنايته به عن عنايته بالرواية، بل يعمل العالم القياس على ما لم يُسمع عن العرب، وقد انتقد ابن درستويه ثعلباً في عدم تبيان أفعالاً لم تُسمع من العرب، وكان يرى أنه لا بد من إجراء القياس عليها، وطرد القاعدة، وتقريبها لطلاب العلم، وإن لم تكن مسموعة عن العرب، فينقل المتلقي من مجرد حفظ ما جاء عن العرب إلى معرفة قوانين لغة العرب،

يقول: "وقد تكون الجارية بمعنى الشابة الحديثة السن، وقد تسمى المملوكة أيضاً والخادمة والحرّة: جارية، كما يسمى الحر والعبد غلاماً، ولم يسمع الفعل في شيء من هذا كله مستعملاً عند العرب. وكان يجب عليه أن يقيس هذه المصادر، ويذكر أفعالها المقدرة عليها؛ ليفيد الناس غير المسموع في الباب كله، ويبين للمتعلمين أصلاً يعتمدون عليه، ولا يكلهم إلى الحفظ دون المعرفة". (٤٥)

(٤٤) السابق، ص ٩٢

(٤٥) تصحيح الفصيح وشرحه، ص ٢٠٨

وهذه رؤية منهجية تستحق النظر، والإفادة منها في البحث والدراسة، فيفتح أمام الباحثين باباً من الاجتهاد في البناء على لغة العرب، والقياس عليها، والبحث عن علل قوانين لغة العرب، والأصول التي بُنيت عليها، ومحاولة تفسير ما خفي من ذلك.

وفي سياق احتفائه بالقياس يرى أنّ المنقاس المطرد هو الأجدر بوصف الفصاحة، وليس ما استعملته العرب، يقول: "وقد تلهج العرب الفصحاء بالكلمة الشاذة عن القياس، البعيدة من الصواب، حتى لا يتكلموا بغيرها، ويدعو المنقاس المطرد المختار، ثم لا يجب لذلك أن يقال: هذا أفصح من المتروك. ومن ذلك قول عامة العرب: أَيْشٍ صنعت؟ يريدون: أي شيء صنعت؟ وقولهم: لا بَشَانِيك، يعنون: لا أبا لشانيك. وقولهم، لا تُبَل، أي لا تبال يا هذا.. ومثل تركهم استعمال الماضي واسم الفاعل من يذر ويدع، واقتصارهم على ترك وتارك، وليس هذا لأن ترك أفصح من ودع ووذر، وإنما الفصيح ما أفصح عن المعنى، واستقام لفظه على القياس، لا ما أكثر استعماله". (٤٦)

فالفصاحة عنده قائمة على أمرين ليس منها كثرة الاستعمال:

الأول: معنوي، فالفصيح ما أبان عن معناه.

والثاني: صناعي، فالفصيح ما جاء على قياس اللغة.

وبعد أن رأينا موقف ابن درستويه من القياس، ومكانته في فكره، وتقديمه على المسموع عن العرب، ندرك خطأ صاحب مقالة مدرسة القياس في اللغة^(٤٧) الذي قسّم اللغويين إلى: محافظين وأحرار، فالمحافظون يقدسون اللغة، ويقتصرون على المسموع منها، دون أعمال للعقل فيها، والقياس عليها؛ لأنهم ينطلقون من القول بتوقيفية اللغة، وأما الأحرار فهم أصحاب القياس، وأصحاب التجديد في اللغة؛ لأنهم انطلقوا من القول بأن اللغة اصطلاحية من وضع البشر!

(٤٦) السابق، ص ٣٦

(٤٧) أحمد أمين، مجلة مجمع اللغة العربي، ج ٦، ١٩٤٩ م

العلاقة بين تصوّر ابن درستويه لنشأة اللغة وآرائه اللغوية

وفيما قدّمت من قبل ما يكفي في الرد على مثل هذا الادعاءات التي لم تُدعم بالأدلة والبراهين، ولذلك حاولتُ في هذه الدراسة أن أسوق مع كلّ قول ما يؤيده من نصوص ابن درستويه، والتزمت عدم إطلاق القول بلا برهان، فقد وقفنا على احتفاء ابن درستويه بالقياس مع القول بتوقيفية اللغة، وقد وصل صاحب آراء ابن درستويه النَّحْوِيَّة والتَّصْرِيْفِيَّة إلى أن ابن درستويه له أقوال عدة تفرد بها كلها مبنية على القياس^(٤٨).

والأعجب من ذلك عدّ صاحب المقالة أبا علي الفارسي من أصحاب القياس الأحرار، وهو ممن يُعنى بالقياس فعلا، لكن الذي فات صاحب المقال أن أبا علي الفارسي ممن يقول بتوقيفية اللغة حسب نقل تلميذه ابن جني.

تعقيب:

يجب أن أنبه - لئلا يلتبس الأمر - على أمرين:

الأول: إن كان ابن درستويه يرى أنّ الحكمة تقتضي إنكار بعض الظواهر اللغوية كالترادف مثلا، أو التناوب، فغيره يرى أنّ ذلك عين الحكمة، وفيه توسعة على مستعملي اللغة، و ذلك أدعى لتنوع الخطاب، ومراعاة القوافي في الشعر، ورفع السامة على السامع، وغيرها من الفوائد، يقول ابن سيده في بيانها: " واختلاف اللفظين والمعاني بعد واحدة للحاجة إلى التوسع بالألفاظ وبين أن هذا القسم لو لم يوجد من الاتساع ما يوجد بوجوده ألا ترى أنه إذا سجع في خطبة أو فقى في شعر فركب السين قال فجاء به مع ما يشاكله ولو لم يقل في هذا المعنى إلا بعد ضاق المذهب فيه، ومن هنا جاءت الزيادات فيه لغير المعاني في كلامهم نحو حباب وعجوز وقضيب فيما حكى لنا عن محمد بن يزيد وأيضا فإذا أراد التأكيد قال: قعد وجلس فتكون المخالفة بين الألفاظ أسهل من إعادتها أنفسها وتكريرها ألا ترى في التنزيل: (وغرايب سود) والغرايب هي السود عند أهل اللغة فحسن التكرير لاختلاف اللفظين ولو كان غرايب لم

(٤٨) ص ٤٨٧

يكن سهلاً".^(٤٩)

الثاني: ليس كل من ذهب إلى توقيفية اللغة تتوافق آراؤه وآراء ابن درستويه، فابن فارس مثلاً من أشهر من يقول بتوقيفية اللغة، ولكن رأينا رأيه في القلب، والتضاد وغيرها من الآراء مما هو مشهور في كتبه تخالف فيها مذهب ابن درستويه، فالقول بتأثير تصوّر اللغة على الآراء اللغوية لا يمكن تعميمه إلا بعد دراسات مماثلة لهذه الدراسة، و ذلك يعود إلى جملة من الأسباب منها:

- قد يكون اللغوي مقلداً في تصوّره لنشأة اللغة، ولم تكن من اهتماماته العلمية، ولم يعمل فيها فكره.
- أو لعله مقلد في قضايا اللغة الأخرى.
- أو لاختلاف زوايا النظر من لغوي لآخر، كما رأينا كيف يجعل ابن درستويه إنكار الترادف من الحكمة خلاف ابن سيده الذي يرى الحكمة في الترادف.
- أو لأنه يفصل بين النظر في نشأة اللغة، ويتعامل مع هذه القضية وفق أدلتها، والواقع اللغوي المبني على سماع العرب، واستعمال المتكلمين للغتهم.

^(٤٩) المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى،

الخاتمة

وبعد اختبار فرضيات الدراسة توصلت إلى النتائج التالية:

- يُعد ابن درستويه من القائلين بتوقيفية اللغة، ومن أنصار القول بأنها وحى من الله عز وجل، وقد أثبت البحث رأي ابن درستويه، فيُضم اسم ابن درستويه إلى قائمة القائلين بتوقيفية اللغة.
- أثبت البحث بأنه قد يكون لتصوّر نشأة اللغة أثر في الآراء اللغوية، وأن تكون من المنطلقات المؤثرة في الفكر اللغوي، ومن مسوغات تبني بعض الآراء اللغوية، وهذا ما ثبت في الأنموذج المدروس، وعليه يمكن إعادة النظر في تعميم القول بأن هذه القضية لا ثمرة من بحثها، أو أنّها تُعدّ من الترف المعرفي الذي لا يُبنى عليه شيء، فقد تستثمر في تفسير الآراء اللغوية، وتحليل المواقف العلمية.
- استطاع البحث تفسير آراء ابن درستويه، التي أشتهر بها، ومعرفة الأصل الذي تنبثق منه، والأساس الذي بُنيت عليه.
- خطأ من يربط بين الاعتزال ومنشأ القول بأن اللغة اصطلاحية النشأة، وكذلك خطأ الربط بين القول بالتوقيفية والاتجاه الكوفي في الدرس اللغوي.
- بيّن البحث غلط من يعقد صلةً لازمةً بين القول بالتوقيفية، وتعطيل القياس، فلا تلازم بينهما، وقد رأينا ابن درستويه ممن يقول بتوقيفية اللغة، وممن يرى أهمية القياس، وضرورة استثماره.
- القول بتأثير تصوّر اللغة على الآراء اللغوية لا يمكن تعميمه إلا بعد دراسات مماثلة لهذه الدراسة، فقد يكون اللغوي مقلداً في تصوّره لنشأة اللغة، أو قد يكون مقلداً في الآراء اللغوية، أو قد تكون زوايا النظر مختلفة من لغوي لآخر، أو لأنه يفصل بين البحث في نشأة

اللغة، والتعامل مع الظواهر اللغوية وفق الواقع اللغوي المبني على السماع عن العرب، واستعمال المتكلمين للغتهم.

التوصيات:

يوصي الباحث بدراسة مماثلة، تكشف علاقة تصوّر نشأة اللغة باختيار الآراء اللغوية، والمواقف العلمية.

فهرس المصادر والمراجع

- أحمد بن عبد الحليم (ابن تيمية)، مجموع الفتاوى، تحقيق أنور الباز، عامر الجزائر، دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦هـ
- إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة محمد عناني، دار رؤية، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٦
- أحمد بن فارس، الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، السيد أحمد صقر، طبعة البابي الحلبي.
- أحمد بن محمد بن إبراهيم (ابن خلكان)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت.
- رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- سيلفان أورو، مسألة أصل اللغات، ترجمة ناديا العمري، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى ٢٠١٣
- صلاح بن عبد الله بوجليع، آراء ابن درستويه النحويّة والتّصريفية: جمعاً ودراسة، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع
- عبد الرحمن الأنباري (أبو البركات)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء الأردن، الثالثة، ١٤٠٥ هـ

العلاقة بين تصوّر ابن درستويه لنشأة اللغة وآرائه اللغوية

- عبد الرحمن بن كمال السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت.
- عبد الله الجبوري، ابن درستويه، بغداد سنة ١٩٧٣م
- عبد الله بن جعفر (ابن درستويه) تصحيح الفصيح وشرحه، تحقيق: محمد بدوي المختون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.
- عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت
- عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر
- علي بن إسماعيل (ابن سيده)، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ
- عمرو عثمان بن قنبر (سيبويه) الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- محمد بن الحسن ابن دريد، جمهرة للغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

المجلات:

- أحمد أمين، مدرسة القياس في اللغة، مجلة مجمع اللغة العربي، ج٦، ١٩٤٩م
- أحمد مختار عمر، ظاهرة الترادف بين القدماء والمحدثين، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ٦٤، مج٢
- ترحيب الدوسري، نشأة اللغات مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات

Index of sources and references

- Ahmad bin Abd al-Halim (Ibn Taymiyyah), Majmoo' al-Fatawa, edited by Anwar al-Baz, Amer al-Jazzar, Dar al-Wafa', 3rd edition, 1426 AH
- Edward Said, Orientalism, translated by Muhammad Anani, Dar Roya, Cairo, first edition 2006
- Ahmed bin Faris, Al-Sahibi in the jurisprudence of the Arabic language and its issues and the Sunnah of the Arabs in its speech, Mr. Ahmed Saqr, edition of Al-Babi Al-Halabi.
- Ahmad bin Muhammad bin Ibrahim (Ibn Khalkan), deaths of notables and news of the sons of time, investigation: Ihsan Abbas, Dar Sader Beirut.
- Ramadan Abdel-Tawab, Introduction to Linguistics and Linguistic Research Methods, Al-Khanji Library, Cairo.
- Sylvain Oro, The Question of the Origin of Languages, translated by Nadia Al-Omari, United New Book House, first edition 2013

- Salah bin Abdullah Bujali`, Ibn Darstuweh's Syntax and Conjugation Opinions: Collection and Study, Dar Elaf International for Publishing and Distribution
- Abd al-Rahman al-Anbari (Abu al-Barakat), Nuzhat al-Albaa fi Tabaqat al-Adabaa, investigation: Ibrahim al-Samarrai, Al-Manar Library, Zarqa, Jordan, third, 1405 AH
- Abd al-Rahman bin Kamal al-Suyuti, al-Mizhar in Language Sciences and its Types by al-Suyuti, investigation: Muhammad Ahmad Jad al-Mawla, Ali Muhammad al-Bajawi, and Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar al-Jil, Beirut.
- Abdullah Al-Jubouri, Ibn Darstawayh, Baghdad in 1973 AD
- Abdullah bin Jaafar (Ibn Darstawayh), corrected and explained by Al-Fasih, investigation: Muhammad Badawi Al-Makhtoon, Supreme Council for Islamic Affairs, Cairo.
- Cairo.
- Abdo Al-Rajhi, Philology in Arabic Books, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Beirut

- Othman bin Jinni, Al-Khasa'is, investigation by Muhammad Ali Al-Najjar, the General Authority for Cultural Palaces, Egypt
- Ali bin Ismail (Ibn Sayedah), Al-Mukhassos, investigation: Khalil Ibrahim Jafal, Dar Ihya Al-Turath, Beirut, first edition, 1417 AH
- Amr Othman bin Qanbar (Sibawayh), the book, edited by Abd al-Salam Muhammad Haroun, Al-Khanji Library, Cairo.
- Muhammad bin Al-Hassan Ibn Duraid, Jamhara for Language, investigation: Ramzi Mounir Baalbaki, Dar Al-Ilm for Millions - Beirut, Edition: First, 1987 AD.

Journals:

- Ahmed Amin, School of Measurement in Language, Journal of the Arab Language Academy, Volume 6, 1949 AD
- Ahmed Mukhtar Omar, The phenomenon of synonymy between the ancients and the moderns, The Arab Journal of Human Sciences, p. 6, vol. 2
- Welcome Al-Dosari, The Origin of Languages, Umm Al-Qura University Journal of Sharia Sciences and Islamic Studies, p. 45, 2008